الإجازات العلميَّة (القسم الثالث)

د. عمر موسى باشا
كلية الآداب - جامعة دمشق

(١)

الاجازات العلمية الأصيلة

الاجازة لغة مصدر فعل (أجاز) ،ويتضمن عدة معان لغوية نصت عليها المعاجم العربية المعتمدة . يقال : (أجاز الشيء) أي: جعله جائزا . و (الاجازة) : الاباحة والتسويغ ، و (أجاز الرأي والامر) أنفذهما .وفي الحديث النبوي : « اني لا أجيز على نفسي شاهدا الا مني » ، وتأتي أيضا (أجازه) بمعنى أعطاه الجائزة ، ومنه الحديث النبوي « أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » . وذكر أيضا أنه مشتق من (جواز الماء) ، والجواز هو السقى ، يقال : (أجيزونا) أي اسقونا ، و (المستجيز) هو المستسقي ، و (استجزته فأجاز لي) أي استسقيته فسقاني . قال الراجز (٨٧) :

يا صاحب الماء فدتك نفسي
عجلْ جوازي وأقل حبسي

كما يقال : (أجاز الشاعر في قصيدته) أي خالف في أبياتها حركة الحرف الذي يلي حروف الروي . ويقال : (أجاز في الشعر) أي أتم عجز البيت الذي استهله مطارحه بذكر صدره ، وطلب منه اجازته ، أي اكماله .

تطورت معاني هذا الاصل اللغوي لكثرة استخدامه في مختلف اشتقاقاته الاصلية والفرعية في مصطلح علم الحديث ، فأصبح مختلف المعاني ومتعدد الاغراض .

ولا بد لنا هنا من تبيان العلاقة بين السماع والاجازة ، وتفضيل أحدهما على الآخر . قال القاسمي : « واختار بعض المحققين تفضيل الاجازة على السماع مطلقا ، وقيل : انهما سواء . حكى ابن عان في (ريحانة النفس) عن عبد الرحمن أحمد بي بقيّ بن مخلد أنه

كان يقول : الاجازة عندي وعند أبي وجدي كالسماع »(٨٨) .

وقال الطوفي : « الحق التفضيل ، ففي عصر السلف السماع ، أولى ، وأما بعد أن دونت الدواوين وجمعت السنن،واشتهرت فلا فرق بينهما » (٨٩) .

ان الاجازة العلمية ، في الاصطلاح ، الاذن والترخيص ، وعند المحدثين ، بالضبط ، الاذن في السماع والرواية لفظا أو كتابة . وهذا يعني أن مفهوم هذا اللفظ قد طرأ عليه تطور جذري في معناه اللغوي الاصلي . ولا شك أن أهم تطور لحقه هو اقترانه بالحديث النبوي كما رأينا ، ذلك لان سماع الحديث يقتضي عند المحدثين اعطاء الاذن لسامعه وحافظه وراويه حق روايته وفق الشروط المنصوص عليها والمقررة في المصطلح ، والمعروف أن الاجازة « أحد أقسام المأخذ والتحمل » (٩٠) .

أذكر هنا ، على سبيل المثال ، نص اجازة في الحديث النبوي ، نالها الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري ، كما وردت في الوافي للصفدي :

« أخبرنا الشيخ عز الدين ، أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحراني رحمه الله ، اجازة ، (أنا)(٩١) الشيخ أبو الفتوح يوسف بن المبارك ، قراءة عليه ، وأنا حاضر ببغداد ، (أنا) الشيخ أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز ، قراءة عليه ، وأنا أسمع ، (أنا) الشيخ أبو الغنائم ، عبد الصمد بن علي بن محمد ، قراءة عليه ، وأنا حاضر ، قيل له : أخبركم أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، (نا) محمد بن علي بن اسماعيل الايلي ، (نا) أحمد بن عبد المعلى بن يزيد ، (نا) حماد بن المبارك ، (نا) محمد بن شعيب ، (نا) مروان بن جناح عن هشام بن عروة ، أنه أخبره عن عروة بن الزبير عن عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله قال : (ان من الشعر لحكمة) (٩٢)» .

أركان الاجازة

أورد التهانوي ذكر أركان الاجازة الثلاثة وهي : (٩٣) الشيخ (المجيز) ، والطالب (المجاز له) ، و (لفظ الاجازة) ،ولا يشترط القبول فيها .

واستطرد بعد ذلك ، فتحدث عن أقسامها وعدد لنا محسناتها اعتمادا على ما اقتبسه من كتاب (خلاصة الخلاصة) ، ومما قاله : « ومن محسنات الاجازة أن يكون (المجيز) عالما بما يجيزه ، و (المجاز له) من أهل العلم ، وينبغي للمجيز بالكتابة أن يتلفظ بها ، فان اقتصر على الكتابة مع قصد الاجازة صحت » .

كما ذكر الزبيدي والقاسمي وغيرهما « أن بعض العلماء كان لا يجيز أحدا الا اذا استخبره واستمهره ، وسأله : ما لفظ الاجازة ؟ وما تصريفها ، وحقيقتها ، ومعناها ؟ » (٩٤) .

ويعلق الزبيدي على هذا الخبر الذي نقله

بقوله : « وكنت سئلت فيه ، وأنا بثغر رشيد في سنة ١١٦٨ هـ ، فألفت رسالة تتضمن تصريفها ، وحقيقتها ، ومعناها ، لم يعلق منها شيء الآن بالبال ، والله أعلم » (٩٥) .

أما القاسمي فقد أورد ذات الخبر الذي سبق ذكره ، وعلّق عليه بقوله : « وممن نقل هذه القصة السيد مرتضى الزبيدي في (شرح القاموس) ، أقول : لا بأس بالاشارة الى جواب هذه الاسئلة الاربعة »(٩٦) .

وكانت اجابته عن هذه الاسئلة الاربعة المذكورة شافية كافية ، ونظرا لاهميتها وطلاقتها بهذا البحث ، فاننا سوف نوردها كاملة كما يلي :

« فأما (لفظ الاجازة) : فهو مصدر من باب (الإفعال) ..

وأما (تصريفها) : فـ (أجاز ، يجيز ، اجازة) كـ (أقام ، يقيم ، اقامة) . وأصلها (إجواز) ، نقلت حركة الواو الى الجيم ، لان الواو حرف علة متحرك ، وما قبله حرف صحيح ساكن ، وهو أولى بتحمل الحركة ، ثم يقال : تحركت الواو بحسب الاصل ، وانفتح ما قبلها بعد النقل ، فقلبت ألفا ، فالتقى ساكنان : الالف المنقلبة عن الواو ، والالف الزائدة للمصدر ، فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين ، وعوضت عنها تاء في الآخر ، فصار (اجازة) واختلف في أن المحذوف ألف (إفعال) أو عين الفعل ، ذهب الى الاول الخليل وسيبويه ، فوزنها (إفعلة) قالوا : لانها زائدة ، والزائد بالحذف أولى . وذهب الى الثاني أبو الحسن الاخفش ، فوزنها عنده (إفالة) . قال : لان العين كثيرا ما يعرض له الحذف في غير هذا الموضع فحذفه أولى ، والمذهب الاول أولى ، لان التقاء الساكنين انما يحصل عند الثاني ، فحذفه أولى .

وأما (معناها) : ففي القاموس وشرحه ما نصه : ومن المجاز (استجاز رجل رجلا): طلب الاجازة ، أي الاذن في مروياته ومسموعاته . و (أجازه) فهو (مجاز) . و (المجازات) : المرويات . ولله در أبي جعفر الفاروقي حيث يقول :

أجاز لهم عمر الشافعي ... جميع الذي سأل المستجيز
ولم يشترط غير ما في اسمه ... عليهم وذلك شرط وجيز

يعني العدل والمعرفة .

وعبارة (التقريب) مع شرحه (التدريب) قال أبو الحسن أحمد بن فارس اللغوي : (الاجازة) في كلام العرب مأخوذة من (جواز الماء) الذي تسقاه الماشية والحرث . يقال منه : (استجزته فأجازني) ، اذ سقاك ماء لماشيتك وأرضك . قال : كذلك طالب العلم يستجيز العالم ، أي يسأله أن يجيزه علمه ، فيجيزه اياه قال ابن الصلاح: فعلى هذا يجوز أن يقال : (أجزت فلانا مسموعاتي أو مروياتي) متعديا بغير حرف

جر من غير حاجة الى ذكر لفظ الرواية • ومن جعل (الاجازة) اذنا واباحة ، وهو المعروف يقول : (أجزت له مسموعاتي) فعلى الحذف كما في نظائره •

وعبارة القسطلانـــي في (المنهـــج) : (الاجازة) مشتقة من (التجوز) وهـــو التعدي ، فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه • وقول ابن فارس المتقدم مـن (جواز الماء) الاضافة للبيـــان • ففـــي (القاموس) : و (الجواز) ك (سحاب) : الماء الذي يسقاه المال من الحاشية والحرث•

وقال الامام الشمني : (الاجازة) في الاصطلاح : اذن في الرواية ، لفظا أو خطـا ، يفيد الاخباري عرفا •

وأما (حقيقتها) فهي أحد أقسام تحمل الحديث الثمانية المقررة في المصطلح»(٩٧) •

أقسام اجازات الحديث

أجمل العلماء ضروب اجازات الحديث في ثمانية أقسام ، اقتصر التهانوي منها على الاقسام الخمسة المشهورة منها ، ونرى من الفائدة أن نوردها كاملة هنا •

الاجازة الاولى
اجازة معيَّن لمعين

أعلى أنواع الاجازات وأرفعها اجازة معين لمعين،ولم يختلف فيجوازها أحد ، سواء أكان واحدا مثل : (أجزتك كتاب البخاري) أم أكثر ، مثل (أجزتك فلانا جميع ما اشتمل عليه فهرستي) •

ووضح الزبيدي ذلك في وصف المجيز « كأن يقول : (أجزت لفلان الفلاني) ، ويصفه بما يميزه (بالكتاب الفلاني) ، أو (ما اشتملت عليه فهرستي) ونحو ذلك • فهو أرفع أنواع الاجازة المجردة عن المناولة »(٩٨) •

قال القاسمي نقلا عن صاحب (التقريب) وشرحه : « والصحيح الذي قاله الجمهـــور من الطوائف واستقر عليه العمل ، جـــواز الرواية والعمل بها »(٩٩) •

الاجازة الثانية
اجازة معين في غير معين

هي اجازة معين في غير معين ، أو لغـــير معين ، مثل (أجزتك جميع مسموعاتي أو مروياتي) • والمعروف أن هذا الضرب من الاجازة أدنى من الاجازة الاولى •

ذكر القاسمي أن جمهور العلماء جوّزوا الرواية بها ، فأوجبوا العمل بما روي بها ، وان الخلاف فيها أقوى وأكثر من القسم الاول(١٠٠) •

كما علق التهانوي على هذين النوعين من الاجازة بقوله : « والصحيح جواز الرواية بهذين النوعين ، ووجوب العمل بهما »(١٠١)•

أما بقية الاجازات الست فقد اختلف فيها ، كما يتوضح ذلك في قول الزبيدي : « وأما في غير هذا الوجه فقد اختلف فيه ، فمنعه أهل الظاهر وشعبة ، ومن الشافعية القـــاضي

حسين والماوردي ، ومن الحنفية أبو طاهر الدباس ، ومن الحنابلة ابراهيم الحربي »(١٠٢) .

الاجـازة الثالثة

اجـازة المجـاز

يطلق على اجازة المجاز أيضا اجـازة الاجازة ، وهي صحيحة ، مثل : (أجزت لك جميع مجازاتي)(١٠٣) ، أو (أجزتك مجازاتي) ، أو (أجزتك جميع ما أجيز لي روايته) (١٠٤) .

ذكر القاسمي أن ابن طاهر يدّعي الاتفاق عليه ، وأشار الى أن بعضهم قد منعه ، وخلص الى القول بعد ذلك : « والصحيح الذي عليه العمل جوازه » (١٠٥) .

أما الزبيدي فقد وقوفه عند هذا النوع من الاجازة ، وأورد لنا ما اطّلع عليه في هذا الصدد ، ثم قال : « والذي استقر عليه العمل القول بتجويز الاجازة ، واجازة الرواية بها ، والعمل بالمروي بها ، كما حققه شيخنا المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي في كراريس اجازة أرسلها لنا من نابلس الشام ، واطلعت على جزء من تخريج الحافظ أبي الفضل بن طاهر المقدسي في بيان العمل بـ (اجازة الاجازة) يقول فيه :

أما بعد ، فان الشيخ الفقيه الحافظ أبا علي البرداني البغدادي بعث الي ، على يد بعض أهل العلم ، رقعة بخطه ، يسأل عن الرواية بـ (اجازة الاجازة) ، فأجبته : اذا شرط المستجيز ذلك صحت الرواية . وبيانه أن يقول عند السؤال : (ان رأى فلان أن يجيز لفلان جميع مسموعاته من مشايخه ، واجازاته عن مشايخه) ، وأجابه الى ذلك ، جاز للمستجيز أن يروي عنه ، ثم ساق بأسانيده أحاديث احتج بها على العمل بـ (اجازة الاجازة) »(١٠٦) .

الاجازة الرابعة

اجـازة العمـوم

وهي أن يجاز غير معين بوصف العموم ممن هو حي يرزق ، مثل قول المجيز (أجزت المسلمين) ، أو (أجزت للمسلمين) ، أو (أجزت كل واحد) ، أو (أجزت أهل زماني) .

اختلف المتأخرون في هذا الضرب من الاجازة وقد جوزها الخطيب مطلقا ، وخصصها القاضي أبو الطيب بالموجودين عند الاجازة (١٠٧) .

كما بحث القاسمي خلاف المتأخرين فيها ، ثم استطرد قائلا : « فان قيد الاجازة بوصف حاصر ، كأهل بلد معين ، أو اقليم ، فأقرب الى الجواز من غير المقيدة بذلك . بل قال القاضي عياض : ما أظنهم اختلفوا في جواز ذلك ، ولا رأيت منعه لاحد ، لانه محصور موصوف كقوله : (لاولاد فلان أو اخوة فلان) . وقد روى بالعامة (١٠٨) من المتقدمين الحافظ أبو بكر بن خير ، ومن المتأخرين الشرف الدمياطي وغيره » (١٠٩) .

الاجـــازة الخامســـة

اجـــازة المعـــدوم

هذه الاجازة جائزة على الاصح ، وأولى بالجواز من المطلقة ، ذلك لان المجيز في هذه الحالة يعطف المعدوم على الموجود ، فتمت اجازته بشفاعته ، مثل : (أجزت لفلان ، ولمن يولد) أو (أجزت لك ، ولولدك ،ولعقبك ما تناسلوا) ٠

ذكر القاسمي هذه الحالة المشترطـة ، وعلق عليها بقوله : « وفصل الثاني مـن المحدثين الامام أبو بكر عبد الله بن أبـي داود السجستاني ، فقال ، وقد سئل الاجازة: (قد أجـزت لـك ، ولاولادك ، ولحبـل الحبلة) (١١٠) يعني الذين لم يولدوا بعد ٠ قال البلقيني : يحتمل أن يكون ذلك على سبيل المبالغة وتأكيد الاجازة »(١١) ٠

واستطرد بعد ذلك قائلا : وصرحبتصحيح الاجازة للمعدوم القسطلاني في (المنهج) ، وأبطلها القاضي أبو الطيب وابن الصبـاغ الشافعيان ٠ قال النووي ، وهو الصحيـح الذي لا ينبغي غيره ، لان الاجازة في حكـم الإخبار جملة بالمجـاز ، فكمـا لا يصـح الاخبار للمعدوم لا يصح الاجازة له »(١١٢) ٠

الاجـــازة السادســـة

الاجـــازة المطلقـــة

هذه الاجازة باطلة بالاجماع عند العلماء ، وهي غير اجازة المعدوم المحقق بالموجود،وغير اجازة العموم الخاصة بمن هو حي من الناس وانما هي خاصة بمن سيكون منهم مطلقا ، أو بمن يحتمل وجودهم المتوقع ، مثـل : (أجزت لمن يولد)(١١٣) ٠

قال القاسمي : « أما اجازة من يوجـد مطلقا فلا يجوز »(١١٤) ٠

صحيح أن هذه الاجازة المطلقة باطلة ، ولكنني أحب أن أقف قليلا عندها لاوضـح أن الهدف منها أعمق بكثير ممـا نظن ، فليس أمر هذه الاجازة تسميـة شكليـة ، وانما يقصد بها الشمولية ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، والانسانية المطلقة لأن الاسلام جاء للناس جميعا فكان رحمة للعالمين ٠

الاجـــازة السابعـــة

اجازة الحمـــل

هذه الاجازة في نظر الفقهاء أولى بالصحة من اجازة المعدوم ٠ قال الحافظ ، ولي الدين، أبو زرعة : « ان الجواز فيما بعد نفخ الروح أولى ، وأنها قبل نفخ الروح مرتبطةمتوسطة بينها وبين الاجازة للمعدوم ، فهي أولـى بالمنع من الاولى ، وبالجواز منالثانية»(١١٥)٠

الاجازة الثامنـــة

اجـــازة الطفـــل

قال القاسمي : « وأما الاجازة للطفل الذي لا يميز فصحيحه على الصحيح الذي قطـع به القاضي أبو الطيب والخطيب ، ولا يعتبر فيه سن ولا غيره ، خلافا لبعضهم حيـث قال : لا يصح كما لايصح سماعه ٠ قـال

الخطيب : وعلى الجواز كافة شيوخنا ، واحتج له بأنها اباحة المجيز للمجاز له أن يروي عنه • والاباحة تصح للعاقل ولغيره • قال ابن الصلاح : كأنهم رأوا الطفل أهلا لتحمل هذا النوع ليؤدى به بعد حصول الاهلية لبقاء الاسناد • وأما المميز فلا خلاف في صحة الاجازة له » (١١٦) •

ان تبيان هذه الضروب الثمانية من الاجازات في الرواية والسماع توضح المدى الذي بلغه البحث العلمي من الدقة والعمق• والغريب أن الباحثين لم يتطرفوا الى ذلك ، ولم يفطنوا الى النتائج المعروفة من خلال الآثار التي خلّفتها الحضارة العربية في الحضارة الغربية •

• • •

يتضح لنا بعد هذا البحث العميق فيظاهرة الاجازة وحقيقتها ، وأركانها ، وضروبها ، أن الحديث النبوي كان الدعامة الاساسية والمنطلق الواسع في قيام هذا النظام العلمي الدقيق الذي طبع الثقافة الاسلامية بطابعها المميز •

كما أن هذه الدقة المنهجية التي طبقت في بادىء الامر على أحد علوم الدين شملت ، بالتالي ، سائر العلوم الدينية ، وتجاوزتها بشكل سريع الى العلوم الانسانية والمادية ، فأصبحت الاجازات العامة شاملةلكلمقومات الثقافة الاسلامية بعد أن تطورت الاجازات الاصلية الخاصة •

(٣)

الاجازات العلمية العامة

هكذا تطورت الاجازات العلمية الاصلية من الاقتصار والتخصص في رواية الاحاديث وسماعها الى الاجازات العلمية العامة ، فشملت مختلف العلوم ، وعمت المعارف الانسانية التي عرفها العرب والمسلمون •

ومما لا شك فيه أن هذه الاجازات العلمية الجديدة كانت تتويجا لجهود الباحثين الذين أنهوا أبحاثهم ودراساتهم على وجه مرضي، بعد أن اختص كل منهم بعلم أو أكثر من العلوم التي كان يؤثرها ، وغالبا ما يتعدد الاختصاص لتعدد الاجازات التي حصل عليها المستجيز •

بحث القلقشندي هذا الضرب منالاجازات العامة ، وتحدث عن أنواعها ، وفيما يكتب عن العلماء وأهل الادب مما جرت به العادة، وهي مراعاة النثر المسجوع في كتابتها •
استخدم العلماء في انشائها أسلوبا خاصا وفق الاساليب المتبعة في الكتابات الديوانية وغيرها • فالمفروض في مستهل كل اجازة أن تبدأ بالحمدلةوالتشهد والصلاة بعدالبسملة، كما هو معروف ، ثم ينتقل العالم المجيز الى ذكر ما يتعلق بالمجاز له ، فيذكر الامور المتعلقة بالسماح له بالفتيا أو التدريس أو الرواية أو غير ذلك ، ولا بد من النص في الاجازة على الامور العلمية التي اختبر بها ، ويذكر فيها أنه قد أجاب عنها ، ثم يختتم القول بالوصايا المناسبة التي يزود

بها من الاستقامة والعدل وذكر الله الـــذي يجب الا ينساه في السر والعلن ٠

صنف القلقشندي الاجازات العامة في ثلاثة أنواع : الاجازة بالفتيا والتدريس ، والاجازة بعراضة الكتب ، والاجازة بالمرويا علـــى الاستدعاءات ٠

الاجازة بالفتيـــا والتدريـــس

بحث القلقشندي هذا الضرب من الاجازات الدينية والتعليمية ، وهي أهم الاجازات ، وقد قال في توضيحها : « أما الاجازة بالفتيا فقد جرت العادة أنه اذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس ، أن يأذن له شيخـه في أن يفتي ويدرّس ، ويكتب له بذلك ، وجرت العادة أن يكون ما يكتب في الغالب في قطع عريض ، اما في فرخة الشامي أو نحوها من البلدي ، وتكون الكتابة بقلم الرقـــاع أسطرا متوالية ، بين كل سطرين نحو اصبع عريض »(١١٧) ٠

أبرز ما يلاحظ أنه يشترط في هذه الاجازة كتابتها في نوع معين من الورق ، وفق نظام وقياسات محددة ، وتكتب بقلم الرقاع ، ويترك بين كل سطرين من أسطرها بعض الفراغ قدر اصبع واحد ٠

ويختار لتسطيرها بعض العلماء من ذوي الخط الجميل ، وتزداد قيمة الاجازة اذا كان العالم الذي كتبها من العلماء المشهورين ، وهكذا يتضح أن العالم المجيز ، يجب أن يترك لعالم آخر تسطير ما يملى عليه ، وقد يفسر هذا الاسلوب بأن الغاية منه وجود آخر ليكون شاهدا على هذا الاختبار ، وأنه كان باشراف لجنة ثنائية ، وهذا المنتهى في التقاليد الجامعية العريقة ٠

أورد القلقشندي نص اجازة حصل عليها وهو في الحادية والعشرين من عمره حين كان في الاسكندرية يتلقى العلم ، وهي أول اجازة نالها ، وقد كتبت بخط موقع الحكم العزيز بالاسكندرية القاضي تاج الدين بن غنوم ٠ أما شيخه المجيز الذي أملى على الكاتب نص الاجازة فهو العلامة الشيخ سراج الدين ، أبو حفص بن أبي الحسن ، الشهير بابن الملقن٠ والنص الذي أمـــلاه « بعـــد البسملـــة الشريفة »(١١٨) ٠

« الحمد لله الذي رفع للعلماء مقدارا ، وأجزل نعمه عليهم ، اذ أعلى لهم منارا ، ووفق لسواء الطريق من اقتدى بهم ايرادا واصدارا ، أشرعت هممهم العلية في حلبـة السباق ، فهي لا تجارى ، وتحلّوا بالمفاخر جهرا ، وقد عجز غيرهم أن يتحلى بها اسرارا وأبرز بهم في هالات المفاخر أقمارا ، وأزال بضياء علومهم ريب الشك حتى عاد ليل الجهالة نهارا ، وجعلهم لدينه أنصارا ، وصيرهم نخبة أصفيائه اذ أودعهم مـــن المعارف أسرارا ، واختصهم بكونهم ورثـــة أنبيائه ، وناهيك بها فخارا » ٠

وأتم الحمد الثاني بعد الاول ، وخلص الى التشهد والصلاة ، ثم ذكر أهمية العلـــم

والعلماء ، وأورد نص ما في القرآن بعد قوله: (أما بعد) •

وانتقل في القسم القسم الثالث من الاجازة الى ذكر المجيز والمستجيز ، فقال : « ولما كان فلان ••• ممن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالاخلاق المرضية الجميلة الجليلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء والقادة من الاكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضي ، والى نيل السعادة ـ ان شاء الله ـ يفضي ، استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا ، وبركتنا ، العبد الفقير الى الله تعالى ، الشيخ ، الامام ، العلامة ، الحبر ، الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده ، جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء ، سراج الدين ، مفتي الاسلام والمسلمين ، أبو حفص عمر بن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى ، الشيخ الصالح ، الزاهد ، العابد ، الخاشع ، الناسك القدوة ، المرحوم شهاب الدين ، بركة الصالحين ، أبي العباس احمد بن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى ، الشيخ الصالح القدوة ، العارف ، المرحوم ، شمس الدين ، أبي عبد الله ، محمد الانصاري الشافعي ، أدام الله تعالى النفع به ، وببركته ، وأشركنا والمسلمين في صالح أدعيته بمحمد وآله وصحبه وعترته » (١١٩) •

هذا النص كله في التحدث عن الاستاذ المجيز ، وبيان فضائله ونسبه ، واستطرد في القسم نفسه الى طلب الاذن له في الاجازة ، فقال : « وأذن وأجاز لفلان ، المسمى فيه ، أدام الله تعالى معاليه ، أن يدرس مذهب الامام المجتهد المطلق ، العالم الرباني ، أبي عبد الله بن ادريس المطلبي الشافعي ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبة ومثواه ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه ، حيث حل وأقام ، كيفما شاء ، ومتى شاء ، وأين شاء ، وأن يفتي من قصد استفتاءه خطا ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار اليه ، لعلمه بديانته وأمانته ، ومعرفته ودرايته وأهليته لذلك وكفايته » •

ويخلص بعد ذلك الى القسم الرابع حيث الوصايا بقوله :

« فليتلق ـ أيده الله تعالى ـ هذه الحلة الشريفة ، وليترق بفضل الله ذروة هذه المرتبة المنيفة ، وليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه وأسدى من الاحسان الوافر اليه ، وليراقبه مراقبة من يعلم اطلاعه على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وليعامله معاملة من يتحقق أنه يعلم ما يخفيه العبد وما يبديه في الورود والصدور ، ولا يستنكف أن يقول فيما لا يعلم : (لا أعلم) ، فذاك قول سعد قائله ، وقد جاء (جنة العالم لا أدري) فان أخطأها أصيبت مقاتله » (١٢٠) •

ويختتم نص الاجازة بقوله : « فالله يرزقنا واياه التوفيق والتحقيق ، ويسلك بنا وبه أقرب طريق ، ويهدينا الى سواء السبيل ، فهو حسبنا ونعم الوكيل » •

يبرز هذا المختار المقتطف من نص الاجازة الدقة في كتابتها والتوثيق في ذكر المجيز والمجاز له ، وهي ـ كما رأينا ـ مؤلفة من أربعة أقسام رئيسية يكتبها أحد العلماء الذين شهدوا منحها للمستجيز ، ولا بد للشيخ المجيز من أن يعلق بخطه ما كتبه المكلف بكتابة نصها بخطه . يؤكد ذلك القلقشندي المستجيز : « وكتب شيخناسراج الدين المشار اليه تحت ذلكبعد حمد اللهتعالى ما صورته : (ما نسب الي" في هذه الاجازة المباركة من الاذن لفلان ... ـ أدام اللهتعالى النفع به ، وأجرى كل خير بسببه، بتدريس مذهب الامام المطلبي ، محمد بن ادريس الشافعي...والافتاءبه لفظا وخطا ـ صحيح، فانه ممن فاق أقران عصره بذكائه ، وبرع عليهم بالاستحضار ، وتحرير المنقول ، ووفائه » .

ثم عدد الاستاذ المجيز جملة منمحفوظات المجاز له قائلا : « ... فاستحضر بحضرتي مواضيع منه جمة ، وأزال ببديع فصاحته جملة مدلهمة ، وأظهر من مشكلاته ما يعجز عنه اللبيب ، ومن أغاريب ما يقف عنده البارع الاريب » !

وخلص بعد ذلك الى الوصايا وتحري الصواب والحذر من الزلل ، لانه « موقّع عن الله تعالى » ، ثم قال :

« وأجزت له مع ذلك أن يروي عني ما لي من التأليف ... وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله ، زاده الله واياي من فضله ، ومنها الكتب الستة : (البخاري) ، و (مسلم) ، و (أبو داود) ، و (الترمذي) ، و (النسائي) ، و (ابن ماجه) ، والمسانيد : (مسند أحمد) ، و (مسند الشافعي) ، وغير ذلك ، وكان ذلك في تاريخ كذا » (١٢٢) .

والاهم من هذه النعوت المذكورة المتعلقة بالمجيز والمجاز له ، هو توثيق الاجازة بخط الاستاذ المجيز نفسه ، فلم يكتف بنص الاجازة المستفيض ، وانما أضيف له هذا التوثيق الشخصي من الاستاذ نفسه .

كما ذكر القلقشندي أنه حذف من نص اجازته السابقة ما يكتب عادة للمجاز له « من حيث أنه لا يليق بأحد أن يذكر ألقاب نفسه في مصنف له ، لانه يصير كأنه أثنى على نفسه » (١٢٣) .

أما هذه الالقاب المحذوفة المشار اليها فتكون علىقدر رتبة المجاز مثل أن يكتب له : « الفقير الى الله تعالى ، الشيخ ، الامام ، العالم ، العامل ، الاوحد ، الفاضل، المفيد ، البارع ، علم المفيدين ، رحلة القاصدين ، فلان الدين ، أبو فلان ، فلان ابن فلان ، (بحسب رتبة آبائه)) .

ولا شك أن هذه النعوت توضح لنا ما كان لنا وما كان عليه الطالب المفيد من الاحترام في مراحل تحصيله المختلفة ، فقد تضمنت ذكر اسمه وكنيته ولقبه ، وشفعت بالنعوت العلمية والخلقية والشخصية وغير ذلك .

وأرخت هذه الاجازة كما هي العادة بقوله : « وكتب في تاريخ كذا »(١٢١) ٠

الاجـــازة بالروايـــة

النوع الثاني من أنواع الاجازات العامة ، الاجازة بالرواية أو الاجازة بالمرويات على الاستدعاءات ٠

والطريقة التي فيها أن يكتب بعـض طلبة العلم المستجيزين الى بعض الفقهاء والعلماء المختصين ، والاعلام المشهورين في بعض فروع العلوم استدعاءات خاصـة يطلبون فيها اجازتهم على ما يطلبونه من حق الرواية ، أو السماح بالسماع عنهم وغير ذلك ٠

وقد جرت العادة في مثل هذه الاحوال أن تكتب الاجازة وترسل الى طالبيها ٠ وهـذا النوع من الاجازات العامة يبرز المـدى الذي بلغته الثقافة الاسلامية والحضارة العربية في هذا المضمار ٠

وخير ما نعرضه منها هنا نص الاستدعاء الذي طلب فيه الصفدي ومن شيخه جمـال الدين بن نباتة المصري أن يمنحه اجـازة خاصة واجازة عامة ، والسماح له بروايته لكتبه المختلفة ، وطلب أن يزوده ببعض ما يسأله عنه ٠

استهل المستجيز الصفدي طلب الاجازة بقوله : « الحمد لله على نعمائه ، المسؤول من احسان سيدنا ، الامام ، العالم ، العلامة ، رحلة أهل الادب ، قبلـة ذوي التحصيـل والاداب ٠٠٠ جمال الدين ، أبي عبد الله ، محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة ، جمع الله شتات أهل الادب في درجة هذه الدولة ٠٠٠ اجازة كاتب هذه الاحرف ، فسح الله في مدته ، برواية المصنفات في الاحاديث النبوية ، والتآليف الادبية ، على اختلاف أوضاعهما ، وتباين أجناسهمـا وأنواعهما ، بحسب ما يؤدي ذلك اليه ، واتصل به من سماع ، أو اجازة ، أو وصية ، أو اجازة ، من مشايخ العلم الذين أخـذ عنهم ، واجازة ما له ، أحسن الله اليه ، من مقول : نظما ، أو نثرا ، أو تأليفا ، أو وضعا ، (اجازة خاصة) واثبات ما له مـن التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم ، واجازة ما لعله يقع بعد ذلـك (اجـازة عامة) ٠٠٠ »(١٢٤) ٠

واختتم الصفدي المستجيز طلبه بقوله : « كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكي بالقاهرة المحروسة ، في مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائـة وحسبنا الله ونعم الوكيل »(١٢٥) ٠

يلاحظ في نص استدعاء الاجازة أن المستجيز بعث من القاهرة الى دمشق بهذا الطلب ، وقد لاحظنا أنه كان يلتزم آداب المخاطبة ويثني عليه كل الثناء ، ويخصه بأفضـل النعوت العلمية والآداب الخلقية ٠

كما يلاحظ أن الاجازة الخاصة كانت تقتصر على الماضي والحاضر ، وأن الاجازة العامة تشمل كل ما يجد ويتعلق بالمستقبل ، وقـد

لاحظنا أن بعض المستجيزين يطلبون في الاجازة أن تشمل أولادهم بشكل عام ، سواء منهم الاحياء ، أو الذين يتوقع أن يلدوا في المستقبل .

ذكر ابن حجة الحموي في خزانته أن الاستاذ المجيز جمال الدين بن نباتة أبطأ في رده الجواب ، وقد استهل اجازته للصفدي بقوله بعد البسملة : « أما بعد حمد لله الذي اذا توجه اليه ذو السؤال فاز ، واذا استدعى كرمه ذو الطلب أجاب وأجاز ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز ... »

واستطرد الاستاذ المجيز ، وأفاض القول في ذكر فضائل المستجيز ، وهذه من آداب الاجازة المتبعة ، فتحدث عن آدابه حديثا شيقا ، يتسم بالمبالغة في ذكر النعوت والاوصاف ، وخلص بعد هذا الاستطراد الطويل الى قوله : « وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور ، ومنظوم ومنثور ، واجازة ومناولة ، ونقل وتصنيف ، وتنضيد وتفويف ، ومماض ومتردد ، (وآت على رأي بعض الرواة) ومتجدد ، وجميع ما تضمنه استدعاؤك ، فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد ، كاتبا لك بذلك خطي ، مشترطا عليك الشرط المعتبر ، فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي ... » (١٢٦) .

وانتقل بعد ذلك الى جوانب أخرى من هذه الاجازة ، فذكر ، بناء على طلب المستجيز روايته عن بعض مشايخ الحديث سماعا وحضورا ، ولا سيما أن المجيز هو ابن الشيخ الحافظ المحدث المشهور شمس الدين بن نباتة وأنه تفرد برواية بعض الاحاديث ، وهذا الذي كان يتوخاه في طلبه خاصة ، وقد أجابه الى مطلبه ، فذكر نبذة عن حياته وآثاره وأساتذته وغير ذلك ، ثم قال بعد عرضه المسهب : « أجزت لك (أعزك الله) روايتها عني ، ورواية ما أدونه وأجمعه بعد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك ونمقه ، ونسخه وحققه ، وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به ، فمنك السؤال ومنك الصدقة ... » (١٢٧) .

كان نص الاجازة أطول من نص استدعاء المجيز ، وقد لاحظنا أن الشيخ المجيز اختتمها بهذا القول الرقيق الذي يعبر عن هذا التواضع الذي كان بين العلماء ، كما لاحظنا هذ الالتزام المتبادل بآداب التحدث والخطاب .

يضاف الى ذلك كله أن الاجازات تمثل آفاق الثقافة التي يشترط في كل مثقف أن يتحلى بها ، وهي صفحة مشرقة غراء في حضارتنا .

مثل آخر من الصفدي نفسه ، وهو هنا فيه المجيز ، لا المستجيز ، كما رأينا في الاجازة السابقة ، فقد كتب على استدعاء بعث به القاضي شهاب الدين أحمد الحنبلي ، خطيب بيت الآلهة ، وكاتب الدست بالشام ، يستجيزه لنفسه .

وما جاء في الاجازة الجوابية التي بعث بها

الصفدي اليه قوله بعد الحمدلة والتشهد والصلاة : « وبعد ، فان الرواية من محاسن الاسلام ، وخصائص الفضلاء الذين تخفق لهم ذوائب الطروس،وتنتصب رماح الاقلام، ولم تزل رغبة السلف تتوفر عليه ، وتشير أنامل ارشادهم للانام بالحث اليه »(١٢٨) .

واستطرد المجيز في التحدث عن أوصاف صاحب الاستدعاء المستجيز ، وهو خطيب وقاض ، فقال :

« فأراد أن يشرّف قدري ، ويعرف نكري فطلب الاجازة مني ، وأنا أحق بالاخذ عنه ، واستدعى ذلك مني ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه مني .

فنعم قد استخرت من الله تعالى ، وأجزت له ما يجوز لي تسميته ، وذكرت هنا شيئا من مرويّاتي وأشياخي ، رحمهم الله ، وذكرت مصنفاتي(١٢٩) :

اجازة قاصر عن كل شيء
يسير من الرواية في مفازه
لمن ملك الفضائل واقتناها
وجاز مدى العلا سبقا وجازه»

الاجازة بالعراضة

هذا الضرب من الاجازة على غاية من الاهمية العلمية ، فلقد ذكر القلقشندي أنه « جرت العادة أن بعض الطلبة اذا حفظ كتابا في الفقه ، أو أصول الفقه ، أو النحو ، أو غير ذلك من الفنون ، يعرضه على مشايخ العصر ، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ، ويفتح منه أبوابا ومواضيع ، يستقرئه اياها من أي مكان اتفق ، فان مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم ، استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه جميع الكتاب ، وكتب له بذلك كل من عرض عليه ، في ورق مربع صغير ، يأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة في الانشاء ، وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ونحوها ، فمن عال ، ومن هابط ، وربما خفف بعضهم ، فكتب : (وكذلك عرض عليّ فلان) أو (عرض عليّ وكتبه فلان) ، اما رياسة وتأبيا عن شغل فكره وكد نفسه فيما يكتبه واما عجزا عن مضاهاة من يكتب معه ، وقد اخترت أن أضع في هذا المحل ما وافق الصيغة وجرى على أسلوب البلاغة »(١٣٠) .

اختار القلقشندي في هذا الضرب من الاجازات نص الاجازة التي كتبها الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي المالكي للنجل النبيل شهاب الدين أبي العباس ، أحمد بن محمد العمري حين عرض عليه كتابين : أولهما (عمدة الاحكام) للحافظ عبد الغني ، وثانيهما كتاب (شذور الذهب) للشيخ جمال الدين بن هشام في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمئة . ومما جاء فيه بعد الحمدلة والتشهد والصلاة قوله :

« فقد عرض علي الجناب العالي ... طائفة متفرقة من (عمدة الاحكام) للحافظ عبد الغني المقدسي ، و (شذور الذهب)

للعلامة جمال الدين بن هشام عرضا قصرت دونه القرائح على طول جهدها .. فأحسن عند العرض في سردها ، وزين (أبقاه الله) تلك الاماكن بطيب لحنه واعراب لفظه ، وآذن امتحانه فيها بأن جواهر الكتابين قد حصلت بمجموعها في خزانة حفظه . فحبذا هو من حافظ روى حديث فضله عاليا ، وتلا على الاسماع ما اقتضى تقديمه على الاقران فلله دره مقدما وتاليا .

واختتم الاستاذ المجيز اجازته بقوله : « والله تعالى يبهج نفسه بما يصبح الحاسد وهو مكمد ، وتقر عينه بهذا الولد النجيب حتى لا يبرح يقول : « أشكر الله وأحمد بمحمد وآله »(١٣١) .

واختار القلقشندي نص اجازة ثانية كتبها الشيخ المجيز محمد بن عبد الدائم لولد القلقشندي أبي الفتح نجم الدين محمد حين عرض على أستاذه كتاب (المنهاج) في الفقه للنووي في سنة ثلاث عشرة وثمانمئة للهجرة ، ومما جاء فيها قوله بعد المقدمة الحمدلية التقليدية : « وبعد ، فقد عرض عليّ الفقيه الفاضل ... مواضع متعددة من (المنهاج) في فقه الامام الشافعي المطلبي ... تأليف الحبر العلامة ، ولي الله ، أبي زكريا بن شرف الدين بن مري النووي ... دل حفظه لها على حفظ الكتاب ، كما فتح الله له مناهج دقة وجلّة ، وكان العرض في يوم كذا »(١٣٢) .

وقد تتضمن الاجازة الواحدة أكثر من تفويض واحد فتجمع مثلا بين الرواية والعراضة معا ، فمن ذلك ما كتبه عز الدين بن جماعة : « كذلك عرض علي المذكور باطنها عرضا حسنا ، محررا ، مهذبا ، مجادا ، متقنا ، عرض أيقن حفظه ، وزين بحسن الاداء لفظه ، وأجزل له من عين العناية حظه ، مر فيه مرور الهملاج الوساع (١٣٣) في فسيح ذي السباع ، وقد دلني ذلك منه (نفعه الله تعالى ، ونفع به ، ووصل أسباب الخير بسببه) على علو همته ، ووفور أريحيته ، وتوقد فكرته ، واتقاد فطنته ، وأصله في ذلك عريق :

سجيّة تلك منهم غير محدثة
ا ن الخلائق ـ فاعلم ـ شرها البدع

وقد أذنت له أن يروي عني الكتاب المذكور وجميع ما يجوز لي ، وعني ، روايته من مصنفاتي وغيرها ، من منظوم ومنثور ، ومنقول ومعقول ومأثور بشرطه المعتبر ، عند أهل الاثر ، وكتب فلان في تاريخ كذا ... » (١٣٤) .

أبرز ما لاحظناه في مضمون هذه الاجازة الدقة المتناهية ، والشروط المعتبرة في المأثور ، ومما لا شك فيه أن قيمة الاجازة تختلف بحسب قيمة الاستاذ المجيز ، وحتى الذي يقوم بكتابتها من العلماء الذين حضروا اختبار المجاز له .

ولا تكتب الاجازة في العراضة الا بعد التأكد من حسن استعداد الطالب الممتحن في العلوم والكتب التي عرضت عليه ، وسئل فيها عن

بعض القضايا المختارة والامور والمسائل المعقدة ، من خلال قطع الكتاب المعروض على غير اتفاق .

ثمّة بعض الانواع الاخرى من الاجازات ، نُص فيها على الاطلاق والشمولية في مضمونها ، تشمل على الاخوة والابناء وغيرهم ممن يحددهم المستجيز في طلبه ، وقد نستغرب في بعض الاجازات أنها تتضمن شمولها لمن سيلد في المستقبل من أبناء المستجيز .

يحسن في نهاية هذا البحث الوقوف عند اجازة كتبها القلقشندي لطفل نابغة ، لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وقد قدم المجيزة لهذه الاجازة قبل ايرادها بقوله :

« ومن ذلك ما كتبته لمن اسمه (محمد) ، ولقبه (شمس الدين) من أبناء بعض الاخوان ، وقد عرض عليّ (الاربعين حديثا) للشيخ محي الدين النووي رحمه الله ، و (الورقات) في الاصول لامام الحرمين و (اللمحة البدرية) في النحو للشيخ أثير الدين أبي حيان دفعة واحدة ، وهو لدون عشر سنين وهو :

(الحمد لله الذي أطلع من دراري الافاضل في أفق النجابة شمسا ، وأظهر من أفاضل الذراري ما يغض به المخالف طرفا ، ويرفع به المحالف رأسا ، وألحق بالاصل الكريم فرعه في النجابة فطاب جنى وأعرق أصلا وزكا غرسا ، وأبرز من ذوي الفطر السليمة من فاق بذكائه الاقران فأدرك العربية في لمعه ، وسما بفهمه الثاقب على الامثال فأمسى وفهم (الورقات) لديه كالصفحة ، وخرق بكرم بدايته العادة ، فجاز الاربعين لدون العشر ، وأتى على ذلك بما يشهد له بالصحة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عمّت بركة اسمه الشريف سميه ففاز منها بأوفر نصيب ، وخص بالهام التسمية به أولو الفضل والنهى فما سمي به الا كريم و لاسمي به الا نجيب ، وعلى آله وصحبه الذين أينعت بهم روضة العلم وأزهرت ، وأورقت شجرة المعارف وأثمرت .

وبعد ، فقد عرض عليّ فلان مواضع من كتاب كذا ، وكتاب كذا ، فمر فيها مرور الصبا ، وجرى في ميدانها جري الجواد ، فما حاد عن سنن الطريق ولا كبا » .

يبدو أن نص هذه الاجازة لم يكتمل ، وقد لاحظ محقق (صبح الاعشى) ذلك ، فذكر أن بقية هذه النسخة سقطت من قلم الناسخ كما ترى (١٢٥) .

والملاحظة الهامة في نص هذه الاجازة أن المجيز تعجب كل التعجب من هذا الطفل المجاز الذي لم يتجاوز العاشرة ، أي أن عمره التربوي أعلى بكثير من عمره الزمني ، ولذلك أجاب اجابة من كان في الاربعين ، وبرهن في أجوبته بما يشهد له بصحة التفكير والذكاء الثاقب .

والملاحظة الثانية الاهم أن النظام التربوي السائد كان ـ في الواقع ـ صورة عن الحياة الثقافية الشاملة ، فنحن نجد أن الاطفال كانوا يدرسون بالاضافة الى كتاب الله ـ

بعض المصادر العلمية الجليلة . فهذا الطفل المجاز أتقن في الحديث كتاب (الاربعين حديثا) النووية ، وفي الاصول كتاب (الورقات) لامام الحرمين ، وفي النحو كتاب (اللمحة البدرية) لابي حيان .

الاجازات الشعرية

ليس المقصود هنا ما سبق لنا ايراده من الاجازة في الشعر ، أو الاجازة عند الشاعر ، فقد وضحنا المعنى الاصطلاحي في مكانه من هذا البحث ، وانما المقصود استخدام النظم كأسلوب نستعيض به عن النثر في الاستجازة .

لاحظنا فيما مر معنا استخدام النثر في اجازات الحديث الخاصة ، وفي الاجازات العلمية العامة ، على اختلاف ضروبها ، وقد استخدم في تحريرها الاسلوب المسجع ، كما فعل القلقشندي في صبحه ، واختار لنا نماذج مختلفة من الاجازات « ما وافق الصنعة وجرى على أسلوب البلاغة » .

أما المستجيزون والمجيزون من الشعراء أو العلماء البارعين في النظم فكانوا يفضلون استخدام النظم لا أكثر في كتابة هذه الاجازات العلمية ، ولا بد في قصيدتي الاستجازة والاجازة من أن تكونا وفق ذات الوزن والروي كما في القصيدة التي أجاب بها جمال الدين بن نباتة أحد طلابه المستجيزين شعرا فقال (١٣٦) :

سئلت اجازتنا لهم ولمثلهم
يروي الاجازة سيد عن سيد

ونعم أجزت لهم رواية ما اقتضوا
بالشرط من لفظ أجزت ومسند

ومصنفات لست عنها راضيا
فمسوّد منها وغير مسود

أهملت منها ما أردت وبعضها
ناديت : لا تهلك أسى وتجلد

خذها اجازة طائع لك منشد
للمدح فاعجب للمجيز المنشد

واسبقه بالقدر البسيط فان لي
هما مديدا ان أقل قال : اقصد

قلمي ولفظي معرضان كلاهما
لا من لساني ان نطقت ولا يدي

وأجاب المجيز الشاعر نفسه جمال الدين ابن نباتة في معرض اجازة شعرية ثانية المستجيز شمس الدين بن سمنديار باجازة شعرية مطولة ، نختار منها قوله (١٣٧) :

ان قيل : ان (سمنديار) لشخصه
نسب فللعرب الخلاص لسانه

مستبدع الالفاظ قد حصلت على
رجحانها وعلوّها أوزانه

قل : يا محمد فيه يسمع فنه
قولا يطول الى السها كيوانه

ها قد أجزتك طوع أمرك ان تجز
ان الرفيع تجيزه أدوانه

ان كنت سلطان القريض فانه
لولاك لم ينفذ اذا سلطانه

أعلام طرسك حيث سـار وقصره
من بيتك المعمور أو بستانـه

أمَّرت في الاشعار شعرك حاكما
متصرفا في أمرهـا ديوانـه

نكتفي بهاتين الاجازتين اللتين بعث بهما الشاعر جمال الدين بن نباتة لمن كان قد استجازه شعرا في استدعائه ، ولكن لا بد من الاشارة هنا الى القصيدة الاجازية الثانية تضمنت شيئا جديدا ، وهو تطور جديد في الاجازة العامة ذلك أن المجيز انما يتحدث عن أمارة الشعر والتصرف في الديوان ، وهكذا نشهد مرحلة ختامية جديدة في الاجازة الشعرية ، وقد رأيناها أسلوبا واذا بها تغدو مضمونا اجازيا في الشعر وحده .

نتجاوز هذا التطور الاجازي الشعري لنعود ثانية الى ما لنا فيه ، ولا بد لنا لكي نستكمل الصورة المذكورة من أن نعرض صورة أخرى مقابلة تتمثل في الاستدعاء من المجيز في طلب الاجازة .

كتب الشاعر عبد الرحمن بن النقيب الى الشيخ العلامة خير الدين الرملي يستجيزه ، وقد استهل قصيدته الاستجازية بقوله:(١٣٨)

كم حللت الحبا بشرخ الشباب
لرياض طوع المنى ورواب

ومناخ في ظل جانب دوح
ومقيل بين الغصون الرطاب

وانتقل الى التحدث أستاذه المجيز مادحا:

مسند الشام مع فلسطين خير الد
ين من جاء بالعجيب العجاب

هو نعمان عصره فارس الحل
بة في المشكلات عند الجواب

خصَّه الله في الفروع بفهم
زاكن خابر مناط الصواب

وحباه من العلوم بحظ
وافر فارتقى على الاضراب

ما تصدى لمشكل قط الا
وجلا عنه وصمة الارتياب

ويمهد الشاعر بهذا الثناء ليخاطب المجيز قائلا (١٣٩) :

يا اماما أبصرتمنه بعين السمـ..
.. ع كهفا لسائر الطلاب

منك في الشام رحلة عاقني عذ..
ـ.. من الخط مخلف الاسباب

فاليك الغداة مني ردودا
بنت فكر فوق الرداح الكعاب

وتحلت من بعد أوصافك الغ
..ـر بعقد منضد الاقتضاب

ويصرح بعد توطئته المسهبة طالبا بر الاجازة في سند الفقه ، ويختتم طلبه داعيا بطول البقاء لاستاذه المجيز ، قائلا له على لسان قصيدته :

ترتجي (الاجازة) منك في المر...
.. وي" مهرا فتلك أقصى الطلاب

فأنلني لا سيـــما سند الفقــ..
...ـه بعلياك يا رفيع الجنــاب

وتفضل بهـــا على مستميـــح
راغــب واغتنم جزيل الثـــواب

فلمن مثلك (الاجازة) تستـا ..
.. م بنظم القريض للاحبـــاب

وابق واسلم مرفّه البال ما خط ..
... يراع حرفا بصدر كتــــاب

ليست هذه القصيدة الاستجازية الوحيدة في ديوان الشاعر نفسه ، يطلب الاجازة في استدعائه الشعري ، فقد عرف عنه أنــه كتب للشيخ محمد بن سليمان نزيل مكــة يستجيزه ، ولكن طلبه لم يقتصر عليهوحده وانما تجاوزه الى ابنه الوحيد سعـــدي ، وأخويه عبد الكريم وابراهيم (١٤٠) .

ومما لا شك فيه أن الاجازات الشعريـــة بنوعيها ، ظهرت بعد الاجازات النثرية ، فالمضمون فيها يختلف ، فهناك اجازةالشعر نفسه ، وهناك الاجازة في العلوم المختلفة يستخدم في طلبها النثر في معظم الاحيان ، والشعر في أحيا نـنادرة جدا .

(٤)
آداب الاستجـــازة والاجـــازة

يتضح مما تقدم معنا أن الاجازات العلمية ظاهرة فريدة في التراث العربي ، تمثل قمة النضج في الثقافة الاسلامية ، ونستطيع من خلالها التعرف على مناحي الحياة الدينية والفكرية والعلمية ، وقد لاحظنا الشـــروط المعتبرة في منحها ، كما أشرنا الى تشدد العلماء في الفحص والاختبار ، وأوردنا النص الكامل في التأكد من أهلية المجاز وكفاءته خلال سؤال بعض العلماء عن خمسة أمور هي التحدث عن لفظ الاجازة ، وتصريفها ، وحقيقتها ، ومعناها ، وأقسامها الثمانية .

ولا بد من الاشارة هنا أيضا الى أهمية أدب الاستجازة ، وأدب الاجازة ، فقد لاحظنا من خلال الاطلاع عليها التمسك بالمفاهيم الخلقية السامية والتقاليد الاجتماعية التـــي يتمسك بها الناس عامة والعلماء خاصة .

نبدأ بأدب الاستجازة ، فنجد التقديس والاجلال والاحترام للعلم وللعلماء ، لا رغبة في نيل الاجازة ، ولا رهبة من غضب الاستاذ وانما نجد أن جماعة الفقهاء من الطـــلاب المستجيزين يقدرون العلماء ، ويقدســـون العلم دون انتظار ثواب أو ابتغاء مصلحة.

ويشتمل عادة طلب الاجازة على ذكـــر نسب الاستاذ المجيز ، وتعـــداد نعوتـــه الاجتماعية والدينية والعلمية ، وبيان مــــا له من المصنفات على اختلافها ، كما يشمل على بعض المطالب الخاصة ، بالاضافة الى المطالب العامة ، أو كما اصطلح عليــــه الاجازة العامة ، أو الاجازة الخاصة ، وذلك بحسب وضع الطالب المستجيز .

أما أدب الاجازة فيتميز بالتواضع الـــذي يتصف به العلماء ، ولا شك أن ذلك يرجع الى صفات المعلمين . ومن تكبر من العلماء وحجب معارفه عن مريديه فانما يكون قـــد أذنب في حق الشرع .

وتبدأ الاجازة عادة بالبسملة ، والحمدلة، والتشهد ، والصلاة ، ولا بد أن يتضمن الحمد بعض ما سوف يرد في نص الاجازة ·

وفي القسم الثاني لا بد لنا من ذكر السماع والرواية والعراضة ، وفي القسم الثالث ينص على لفظ الاجازة وما يستتبعها من حقوق ، وينص في القسم الرابع على الواجبات المترتبة عليه بعد نيله حق الاجازة

كما يشترط في أسلوبها أن تكتب باتقان، يلتزم فيها الكاتب بالسجع والصور البديعية وغيرها ، ويختار عادة لكتابتها بعض العلماء الذين حضروا الاختبار العلمي ·

● ● ●

وليس من المبالغة في شيء ان قلنا : ان هذه المناهج العلمية والتقاليد العريقة في تراثنا العربي والمطبقة في الاكاديميات العلمية والمؤسسات الجامعية في العصر الحديث ليست في الاصل الا جزءاً من هذا التراث الحضاري الاسلامي والفكر العربي الاصيل ، وهما اللذان أسهما في تطور الحضارة الانسانية الحديثة ، وأوصلاها الى قمة الابداع الحضاري ·

فما أحوجنا نحن الآن الى تبيان الذخائر التراثية ودراسة هذه الجوانب الفكرية الاصيلة في تراثنا وحضارتنا كما كانت في أوج نهضتنا ، وذلك حين أثرت الحضارة الانسانية وأثرت فيها ، وفتحت أمامها منهج التطور والتجديد ·

ومن حقنا أن نجدد هذا التراث العربي ونبرز هذه المفاهيم والقيم ، لا رجوعا منا الى الوراء لنعيش على أطلال الماضي وظلاله وانما نفعل ذلك لكي نحفظ لحضارتنا استمرارها دون انقطاع ، نصل الماضي بالحاضر وننطلق من خلالهما في آفاق المستقبل الرحب ، على هدي هذا الماضي الثر ، ووفق المعطيات العلمية المعاصرة · والخطر كل الخطر حين نتمسك بالتراث تمسكا أعمى نجمد عليه ، ونعرض عن الآماد الفسيحة والمنجزات العظيمة التي بلغها العلم في العصر الحديث ·

د· موسى باشا

الاستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث

١ ــ التهانوي : (محمد بن علي التهانوي المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري)

● كشاف اصطلاحات الفنون . تحقيق لطفي عبد البديع . نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م ·

٢ ــ ابن جبير : (ابو الحسين ، محمد بن احمد ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ) .

● رحلة ابن جبير
منشورات دار صادر بيروت ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م

٢ ــ ابن حجة : (تقي الدين أبو بكر ، المعروف بابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ)

● خزانة الادب . طبع دار الطباعة ١٢٩١ هـ. ــ القاهرة .

٤ ــ الخطيب البغدادي (ابو بكر ، احمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة٤٦٣هـ)
● تاريخ بغداد . طبع دار الكاتب العربي.

٥ ــ ابن دقماق (ابراهيم بن ايدمر بن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ)
● الانتصار لواسطة عقد الامصار .
مطبعة بولاق سنة ١٨٩٣ م

٦ ــ الزبيدي : (مرتضى محمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ)
● تاج العروس في شرح القاموس .
الطبعة الاولى . المطبعة الخيرية ، سنة ١٣٠٦ هـ .

٧ ــ السبكي : (تاج الدين ، ابو نصر ، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ) .
● معيد النعم ومبيد النقم . تحقيق الاساتذة محمد علي النجار ، وأبي زيد شلبي، ومحمد أبو العيون .
طبع دار الكاتب العربي بمصر ، سنة ١٣٦٧ هـ ـــ ١٩٤٨م

٨ ــ السيوطي : (جلال الدين ، عبد الرحمن ابن ابي بكر ، المتوفى سنة ٩١١ هـ)
● حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة
المطبعة الشرقية بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ

٩ ــ الصفدي (صلاح الدين ، خليل بن ايبك ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ)
● الوافي بالوفيات . تحقيق هـ. ريتر .
طبع مطبعة الدولة باستانبول سنة١٩٣١م

١٠ ــ القاسمي (جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ)
● الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين .
وهو شرح الاربعين العجلونية ، مخطوطة اطلعني عليها الاستاذ عاصم ابن استاذي الكبير العلامة المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار ، فجزاه الله عني خيرا .

١١ ــ القلقشندي (ابو العباس احمد القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ)
● صبح الاعشى في صناعة الانشا
طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ ـــ ١٩١٥ م

١٢ ــ كرد علي : (محمد بن عبد الرزاق بن محمد ، المتوفى سنة ١٩٧٤ هـ ـــ ١٩٥٣ م)
● خطط الشام . طبع المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ ـــ ١٩٢٥ م

١٣ ــ المحبي (محمد امين بن فضل الله ، المعروف بالمحبي ، المتوفى سنة ١١١١ هـ)
● خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر
المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٣٨٤ هـ

١٤ ــ ابن منظور (ابو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ) .
● لسان العرب
طبع دار صادر ودار بيروت ١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٥ م

١٥ ــ موسى باشا (د. عمر بن محمد علي موسى باشا)
● الادب في بلاد الشام . طبع المكتبة العباسية بدمشق سنة ١٩٧٢ م

● ابن نباتة المصري ـــ مير شعراء المشرق
طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ م ـــ ١٣٨٣ هـ .

● محاضرات في الادب المملوكي والعثماني
منشورات جامعة دمشق . مطبعة الاحسان ١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠ م

١٦ ــ النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ)
● الدارس في تاريخ المدارس . تحقيق الاستاذ جعفر الحسيني .
منشورات المجمع العلمي العربي . طبع مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ هـ ـــ ١٩٤٨م

١٦ ــ ابن النقيب : (عبد الرحمن بن محمد ، الملقب بابن النقيب المتوفى سنة ١٠٨١ هـ)

● ديوان ابن النقيب . تحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .
مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٦٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م

١٧ ــ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ)

● مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال .
المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م ــ ١٩٥٧ م

الحواشي

(٨٧) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ص ٣٢٩

(٨٨) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٨ .

(٨٩) المصدر السابق ، ورقة ١٨ ، ١٩

(٩٠) الزبيدي : تاج العروس ، ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٩١) المقصود من (نا) في نص الحديث ، اي (حدثنا) ، و (نا) اي (اخبرنا) ، وهذان المختصران من اساليب الحديث النبوي ، ويكتب في بعض الاحيان (ثنا) ، وقد افادنا محققو كتاب (معيد النعم ومبيد النقم) للسبكي ان استخدم هاتين الصيغتين : (اخبرنا) و (انبأنا) سواء عند المتقدمين . أما عند المتاخرين فان الإنباء يكون مقصورا على الاجازة فقط .

(٩٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ص ١١٧

(٩٣) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢٠٨ .

(٩٤) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٧ ، والزبيدي : تاج العروس ، ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٩٥) الزبيدي : تاج العروس ، ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٩٦) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٧ .

(٩٧) المصدر السابق ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٩٨) الزبيدي : تاج العروس ، ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٩٩) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٨ .

(١٠٠) المصدر السابق ، ورقة ١٨ .

(١٠١) المصدر السابق ، ورقة ١٨ .

(١٠٢) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢٠٨

(١٠٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠٨

(١٠٤) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٩

(١٠٥) المصدر السابق (مخطوط) ورقة ١٩

(١٠٦) الزبيدي : تاج العروس ، ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(١٠٧) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٩ .

(١٠٨) اي بالاجازة العامة .

(١٠٩) القاسمي : الفصل المبين (مخطوط) ورقة ١٩ .

(١١٠) في معجم لسان العرب : « وقيل : حَبَلَ الحَبَلَةَ ، ولد الولد الذي في البطن ، ومنه حديث عمر لما فتحت مصر أرادوا قسمها ، فكتبوا اليه ، فقال : لا ، حتى يغزو منها حَبَلَ الحَبَلَةَ ، يريد حتى يغزو من أولاد الاولاد ، ويكون عاما

في الناس والدواب ، أي يكثر المسلمون بالتوالد »
ج ١١ ص ١٣٩

(١١١) القاسمي : الفضل المبين (مخطوط) ، ورقة ١٩ .

(١١٢) المصدر السابق (مخطوط) ورقة ١٩

(١١٣) المصدر السابق (مخطوط) ، ورقة ١٩

(١١٤) المصدر السابق (مخطوط) ، ورقة١٩

(١١٥) المصدر السابق (مخطوط) ، ورقة ١٩

(١١٦) المصدر السابق ، ص ١٩

(١١٧) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٢

(١١٨) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٣

(١١٩) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٥

(١٢٠) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٥

(١٢١) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٥

(١٢٢) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٦،٣٢٧

(١٢٣) — المصدر السابق ج ١٤ ص ٣٢٧

(١٢٤) ابن حجة : خزانة الادب (تقديم أبـي بكر) ص ٣٥١ ، ٣٥٢

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٢

(١٢٦) المصدر السابق ، ص ٣٥٣

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٥١ ، ٣٥٥

(١٢٨) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١٤ ص ٣٣٢

(١٢٩) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤

(١٣٠) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٧

(١٣١) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٢٩

(١٣٢) المصدر السابق ، ج ١٤ ٣٣٠

(١٣٣) الهملاج : هملج ، أحسن في السـير ، وسار في سرعة وبخترة . والوساع من الخيل هو الجواد الواسع الخطو .

(١٣٤) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٣١

(١٣٥) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٣١

(١٣٦) ديوان ابن نباتة المصري ، ص ١٥٥ ، وكتابنا (ابن نباتة المصري) ص ٤٩٠ — ٤٩١

(١٣٧) المصدران السابقان ص ٥١٥ ، ٥١٦ ، و ص ٤٩١ .

(١٣٨) ديوان ابن النقيب ، ص ٢٠ — ٢٤ ، وكتابنا (محاضرات في الادب المملوكي والعثماني) ص ٢٢٤

(١٣٩) ديوان ابن النقيب ، ص ٢٠٠

(١٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٠